

أعلام النبوة

الباب الثامن : في معجزات عصمته صلى الله عليه و تعالى عليه و سلم .

معجزات في عصمة النبي عليه السلام : .

أظهر الله تعالى لرسوله صلى الله عليه و تعالى عليه و سلم من أعلام نبوته بعد ثبوتها بمعجز القرآن و استغنائه عما سواه من البرهان ما جعله زيادة استبصار يحج بها من قلت فطنته و يذعن لها من ضعفت بصيرته ليكون إعجاز القرآن مدركا بالخواطر الثاقبة تفكرا و استدلالا و إعجاز العيان معلوما ببداية الحواس احتياطا و استظهارا فيكون البليد مقهورا بوهمه و بيانه و اللبيب محجوبا بفهمه و بيانه لأن لكل فريق من الناس طريقا هي عليهم أقرب و لهم أجذب فكان ما جمع انقياد الفرق أوضح سبيلا و أعم دليلا .

عصمة النبي من أعدائه الكثيرين : .

فمن معجزاته : عصمته من أعدائه و هم الجم الغفير و العدد الكثير و هم على أتم حنق عليه و أشد طلب لنفيه و هو بينهم مسترسل فاهر و لهم مخالط و مكاثر ترمقه أبصارهم شذرا و ترتد عنه أيديهم ذعرا و قد هاجر عنه أصحابه حذرا حتى استكمل مدته فيهم ثلاث عشرة سنة ثم خرج عنهم سليما لم يكلم في نفس و لا جسد و ما كان ذاك إلا بعصمة إلهية وعده الله تعالى بها فحقها حيث يقول : { والله يعصمك من الناس } فعصمه منهم .

أعداؤه يحاولون قتله : .

و إن قريشا اجتمعت في دار الندوة و كان فيهم النضر بن الحارث بن كنانة و كان زعيم القوم و ساعده عبد الله بن الزبيري و كان شاعر القوم فحضهم على قتل محمد صلى الله عليه و سلم و قال لهم : الموت خير لكم من الحياة فقال بعضهم : كيف نصنع ؟ .

فقال أبو جهل : هل محمد إلا رجل واحد و هل بنو هاشم إلا قبيلة من قبائل قريش فليس منكم من يزهد في الحياة فيقتل محمدا و يريح قومه و أطرق مليا فقالوا : من فعل هذا ساد .

فقال أبو جهل : ما محمد بأقوى من رجل منا و إني أقوم إليه فأشدخ رأسه بحجر فإن قتلت أرحلت قومي و إن بقيت فذاك الذي أوثره .

و على ذلك خرجوا فلما اجتمعوا في الحطيم خرج عليهم رسول الله صلى الله عليه و سلم فقالوا : قد جاء فتقدم من الركن فقام يصلي فنظروا إليه يطيل الركوع و السجود .

فقال أبو جهل : إني أقوم فأريحكم منه فأخذ مهراشا عظيما و دنا من رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو ساجد لا يلتفت و لا يهابه و هو يراه فلما دنا منه ارتعد و أرسل الحجر على رجله فرجع و قد شدخت أصابعه و هو يرتعد و قد دوخت أوداجه و رسول الله صلى الله عليه و تعالى

عليه و سلم ساجد .

فقال أبو جهل لأصحابه : خذوني إليكم فالتزموه و قد غشي عليه ساعة فلما أفاق قال له أصحابه ما الذي أصابك ؟ قال : لما دنوت منه أقبل علي من رأسه فحل فاغر فاه فحمل علي أسنانه فلم أتمالك و إني أرى محمدا محجوبا .

فقال له بعض أصحابه : يا أبا الحكم رغبت و أحببت الحياة و رجعت .

قال : ما تغروني عن نفسي .

قال النضر بن الحارث : فإن رجع غدا فأنا له .

قالوا له : يا أبا سهم لئن فعلت هذا لتسودن فلما كان من الغد اجتمعوا في الحطيم منتظرين رسول الله صلى الله عليه و سلم فلما أشرف عليهم قاموا بأجمعهم فواثبوه فأخذ حفنة من تراب و قال : شأنت الوجوه و قال : حمر لا يبصرون فتفرقوا عنه .
و هذا دفع إلهي وثق به من الله تعالى فصبر عليه حتى وقاه الله و كان من أقوى شاهد على صدقه .

معمر بن يزيد يحاول قتل النبي صلى الله عليه و سلم : .

و من أعلامه : أن معمر بن يزيد و كان أشجع قومه استغاثت به قريش و شكوا إليه أمر رسول الله صلى الله عليه و سلم و كانت بنو كنانة تصدر عن رأيه و تطيع أمره فلما شكوا إليه قال لهم : إني قادم إلى ثلاث و أريحكم منه و عندي عشرون ألف مدجج فلا أرى هذا الحي من بني هاشم يقدر على حربي و إن سألوني الدية أعطيتهم عشر ديات ففي مالي سعة و كان يتقلد بسيف طوله سبعة أشبار في عرض شبر و قصته في العرب مشهورة بالشجاعة و البأس .

فلبس يوم وعده قريشا سلاحه و طاهر بين درعين فوافقهم بالحطيم و رسول الله صلى الله عليه و سلم في الحجر يصلي و قد عرف ذلك فما التفت و لا تزعزع و لا قصر في صلاة فقبل له : هذا محمد ساجد فأهوى إليه و قد سل سيفه و أقبل نحوه فلما دنا منه رمى بسيفه و عاد فلما صار إلى باب الصفا عثر في درعه فسقط فقام و قد أدمى وجهه بالحجارة يعدو كأشد العدو حتى بلغ البطحاء ما يلتفت إلى خلف فاجتمعوا و غسلوا عن وجهه الدم .

و قالوا ماذا أصابك ؟ .

قال : و يحكم المغرور من غررتموه قالوا ما شأنك ؟ قال : ما رأيت كاليوم دعوني ترجع

إلي نفسي فتركوه ساعة و قالوا : ما أصابك يا أبا الليث ؟ .

قال : إني لما دنوت من محمد فأردت أن أهوي بسيفي إليه أهوي إلي من عند رأسه شجاعان أقرعان ينفخان بالنيران و تلمع في أبصارهما فعدوت فما كنت لأعود في شيء من مساءة محمد .
كلدة بن أسد يحاول قتل النبي صلى الله عليه و سلم : .

ومن أعلامه : أن كلدة بن أسد أبا الأشد و كان من القوة بمكان خاطر قريشا يوما في قتل

رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعظموا له الخطر إن هو كفاهم فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الطريق يريد المسجد ما بين دار عقيل و عقال فجاء كلفة و معه المزراق فرجع المزراق في صدره فرجع فزعا فقالت له قريش : ما لك يا أبا الأشد ؟ فقال : و يحكم فإني أراه فلم يزل يعدو حتى بلغ الطائف فاستهزأت به ثقيف فقال : أنا أعذرکم لو رأيتم ما رأيتم لهلكتم .

أبو لهب يحاول قتل النبي صلى الله عليه وسلم : .

و من أعلامه : أن أبا لهب خرج يوما و قد اجتمعت قريش فقالوا له : يا أبا عتبة إنك سيدنا و أنت أولى بمحمد منا و إن أبا طالب هو الحائل بيننا و بينه و لو قتلته لم ينكر أبو طالب و لا حمزة منك شيئا و أنت بريء من دمه فنؤدي نحن الدية و تسود قومك . فقال : فإني أكفيكم ففرحوا بذلك و مدحته خطبائهم .

فلما كان في تلك الليلة و كان مشرفا عليه نزل أبو لهب و هو يصلي و تسلمت أم جميل الحائط حتى وقفت على رسول الله صلى الله عليه وسلم و هو ساجد فصاح أبو لهب فلم يلتفت إليه و هما كانا لا ينقلان قدما و لا يقدران على شيء حتى تفجر الصبح و فرغ صلى الله عليه وسلم .

فقال أبو لهب : يا محمد أطلق عنا فقال : ما كنت لأطلق عنكما أو تضمنا لي أنكما لا تؤذياني قالا : قد فعلنا فدعا ربه فرجعا .

قريش تتوعد النبي صلى الله عليه وسلم .

و من أعلامه : أن قريشا اجتمعوا في الحطيم فخطبهم عتبة بن ربيعة فقال : إن هذا ابن عبد المطلب قد نغص علينا عشرين و فرق جماعتنا و بدد شملنا و غاب ديننا و سفه أحلامنا و ضلل آباءنا و كان في القوم الوليد بن المغيرة و أبو جهل بن هشام و شيبة بن ربيعة و النضر بن الحرث و منبه و نبيه ابنا الحجاج و أمية و أبي ابنا خلف في جماعة من صناديد قريش فقال له : قل ما شئت فإننا نطيعك قال : سأقوم فأكمله فإن هو رجع عن كلامه و عما يدعو إليه و إلا رأينا فيه رأينا فقالوا له : شأنك يا أبا عبد شمس .

فقام فتقدم إلى النبي صلى الله عليه وسلم و هو جالس وحده فقال : أنعم صباحا يا محمد .

قال : يا عبد شمس إن الله قد أبدلنا بهذا السلام تحية أهل الجنة .

قال : يا ابن أخي إنني جئتكم من عند صناديد قريش لأعرض عليكم أمورهم إن أنت قبلتها فلك الحظ فيها و لنا فيها الفسحة ثم قال : يا ابن عبد المطلب إنك دعوت العرب إلى أمر ما يعرفونه فأقبل مني ما أقول لك قال : قل قال : إن كان ما تدعو إليه تطلب به ملكا فإننا نملكك علينا من غير تعب و نتوجك فارجع عن ذلك فسكت ثم قال له : و إن كان ما تدعو إليه

أمرا تريد به امرأة حسناء فنحن نزوجك .

فقال : لا قوة إلا بالله ثم قال له : و إن كان ما تتكلم به تريد مالا أعطيناك من الأموال حتى تكون أغنى رجل في قريش فإن ذلك أهون علينا من تشتت كلمتنا و تفريق جماعتنا و إن كان ما تدعو إليه جنونا داويناك كما تداوي قيس بني ثعلبة مجنونهم .

فسكت النبي صلى الله عليه و سلم فقال : يا محمد ما تقول ؟ و بم ارجع إلى قريش ؟ . فقال النبي صلى الله عليه و سلم : { حم * تنزيل من الرحمن الرحيم * كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون * بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون } حتى بلغ إلى قوله { فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد و ثمود } .

قال عتبة : فلما تكلم بهذا الكلام فكأن الكعبة مالت حتى خفت أن تمس رأسي من إعجازها و قام فزعا يجر رداءه فرجع إلى قريش و هو ينتفض انتفاض العصفور و قام النبي صلى الله عليه و سلم يصلي فقالت قريش لقد ذهبت من عندنا نسيطا و رجعت فزعا مرعوبا فما وراءك ؟ . قال : و يحكم دعوني إنه كلمني بكلام لا أدري منه شيئا و لقد رعدت علي الرعدة حتى خفت على نفسي و قلت الصاعقة قد أخذتني فقدموا عني ذلك .

قال ابن عرفة : الصاعقة اسم العذاب على أي حال كان و إنما أهلك عاد بالريح و ثمود بالرجف فسمى الله تعالى ذلك صاعقة قال الأزهري : الصاعقة : صوت الرعد الشديد الذي يصعق منه الإنسان أي يغشى عليه .

سراقة بن مالك يحاول قتل النبي صلى الله عليه و سلم : .

و من أعلامه : أنه لما أراد الهجرة خرج من مكة و معه أبو بكر فدخل غارا في جبل ثور ليستخفي من قريش و قد طلبته و بذلت لمن جاء به مائة ناقة حمراء فأعانه الله تعالى إخفاء أثره و أنبت على باب الغار ثمامة و هي شجرة صغيرة و ألهمت العنكبوت فنسجت على باب الغار نسج سنين في طرفه عين ولدغ أبو بكر هذه اللية غير لدغة فخرق ثيابه و جعلها في الشقوق و سد بعضها بقدمه اتقاء لرسول الله صلى الله عليه و سلم .

و أقام فيه ثلاثة أيام ثم خرج منه فلقية سراقة بن مالك بن جعشم و هو من جملة من توجه لطلبه فقال له أبو بكر : هذا سراقة قد قرب فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : اللهم اكفنا سراقة فأخذت الأرض قوائم فرسه إلى إبطها فقال سراقة : يا محمد ادع الله أن يطلقني و لك علي أن أرد من جاء يطلبك و لا أعين عليك أبدا فقال اللهم إن كان صادقا فأطلق عن فرسه فأطلق الله عنه ثم أسلم سراقة و حسن إسلامه .

دعثور يحاول قتل النبي صلى الله عليه و سلم : .

و من أعلامه : أن رسول الله صلى الله عليه و سلم انفرد في غزوة ذي أمر عن أصحابه و اضطلع وحده فوقف عليه دعثور فسل سيفه و قال : يا محمد من يمنعك مني ؟ .

فقال : ا فسقط السيف من يده فأخذه رسول ا صلى ا تعالى عليه و سلم ثم قال له : من يمنعك مني ؟ .

قال : لا أحد أشهد أن لا إله إلا ا و أن محمدا رسول ا .

و عاد إلى قومه يدعوهم إلى الإسلام و فيه نزل قوله تعالى : { يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة ا عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم } .

شعبة بن عثمان يحاول قتل النبي صلى ا عليه و سلم : .

و من أعلامه : أن الناس لما انهزموا عن رسول ا صلى ا تعالى عليه و سلم يوم حنين و هو معتزل عنهم رآه شعبة بن عثمان بن أبي طلحة فقال : اليوم أدرك ثأري و أقتل محمدا لأن أباه قتل يوم أحد في جماعة إخوته و أعمامه قال شعبة : فلما أردت قتله أقبل شيء حتى تغشى فؤادي فلم أطلق ذلك : فعلت أنه ممنوع .

أربد بن قيس يسعى لقتل النبي صلى ا عليه و سلم : .

و من أعلامه : أن عامر بن الطفيل و أربد بن قيس و هو أخو لبيد بن ربيعة الشاعر لأمه وفدا على رسول ا صلى ا تعالى عليه و سلم في قومهما من بني عامر فقال عامر لأربد : إذا قدمنا على محمد فإني شاغل عنك وجهه فأعله أنت بالسيف حتى تقتله .

قال أربد : أفعل ثم أقبل عامر يمشي و كان رجلا جميلا حتى قام على رأس رسول ا صلى ا تعالى عليه و سلم فقال يا محمد : مالي إن أسلمت ؟ فقال : لك ما للإسلام و عليك ما على الإسلام .

قال : ألا تجعلني الوالي من بعدك ؟ قال : ليس ذلك لك و لا لقومك و لكن لك أعنة الخيل تغزو بها .

قال : أو ليست لي اليوم ؟ و لكن اجعل لي و لك المدد قال : ليس ذلك لك .

فقال : قم يا محمد إلى ههنا فقام إليه فوضع عامر يده بين منكبيه ثم أومأ إلى الأبد أن اضرب فسل أربد سيفه قريبا من ذراع ثم أمسك ا يده فلم يستطيع أن يسله و لا يغمده .

فالتفت رسول ا صلى ا تعالى عليه و سلم إلى أربد فرآه على ما هو عليه [فقال اللهم

اكفنيها بما شئت اللهم اهد بني عامر و أغن الدين عن عامر] فانطلقا و عامر يقول : و

ا لأملأنها عليك خيلا دهما و وردا فقال رسول ا صلى ا تعالى عليه و سلم : [يا بى ا ذاك و أبناء قيلة يعني الأنصار] ثم قال عامر لأربد : ويلك لم أمسكت عنه ؟ فقال و ا ما هممت به مرة إلا رأيته و لا أرى غيرك أفأضربك بالسيف ؟ .

و سارا فأما عامر فطرح ا عليه الطاعون في عنقه فقتله في بيت امرأة من بني سلول فجعل

يقول : أغدة كغدة البكر في بيت امرأة من بني سلول و ركب فرسه فركضه حتى مات .

و أما أربد فقدم على قومه فقالوا ما وراءك يا أربد ؟ فقال : و ا لقد دعانا محمد إلى

عبادة شيء لوددت أنه عندي الآن فأرميه بنبلي هذا حتى أقتله ثم خرج بعد مقالته بيوم أو يومين و معه جمال له تتبعه فأرسل ا[] عليه و على جماله صاعقة أحرقتهم و قيل نزل في صاعقه قول ا[] تعالى : { هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا } يعني خوفا من الصواعق و طمعا في المطر و فيه يقول لبيد بن ربيعة و هو أخو أربد لأمه : .

(أخشى على أربد الحتوف و لا ... أرهب نوع السماك و الأسد) .

(أفجني الرعد الصواعق بالفا ... رس يوم الكريهة النجد) .

(كل بني حرة مصيرهم ... قل و إن أكثر من العدد) .

(أن يغيظوا يهبطوا و إن أمروا ... يوما يصيروا للهلك و النكد) .

فإن قيل : فهذه أخبار آحاد لا يقطع بمثلها قيل : العداوة ظاهرة و الطلب معلوم و السلامة موجودة فلم تدفع جملة الأخبار و لم يصح في جميعها توهم الكذب و إن جاز في آحادها توهم الكذب كالمحكي من سقاء حاتم و شجاعة عنتزة